عن الأرض بسهولها وجبالها، وأنهارها وبحارها، ونباتها وحيوانها، وأهويتها وفصولها؟ ثمّ كيف نعرض عن جسومنا بما فيها من بديع التركيب ومن شتى الحاجات والشهوات؟ وجسومنا بعض من الطبيعة. فهي صفحات مشرقة في كتابها المشرق العجيب.

لا. ليس في مستطاع أيّ إنسان أن يطوي كتاب الطبيعة ولو لمحة واحدة من حياته. مثلما ليس في مستطاعه أن يخرج ولو لمحة واحدة من مدرسة الطبيعة. فالطبيعة مدرسة لا بطالة فيها ولا تعطيل. بل دروس متلاحقة تلاحق الفصول بالفصول ومتواصلة تواصل الثواني بالثواني. ولو أن الناس كانوا سواسية من حيث انكبابهم على الدرس، ومن حيث مقدرتهم على تفهّم ما يدرسون، لكان من حقّكم أن تعجبوا لهم كيف أنّهم ما برحوا منذ آلاف السنين يدرسون في مدرسة الطبيعة دونما انقطاع وحتى اليوم ما اجتازوا الامتحان الأخير ولا ظفروا بالشهادة النهائيّة. إلاّ أنّ الناس من هذا القبيل أصناف وأصناف. منهم المجتهد ومنهم الكسول. ومنهم الفهيم ومنهم الجهول. والقليل القليل ما بينهم هم الذين يتعشّقون الطبيعة فيدرسون في كتابها وأفئدتهم تذوب شوقاً إلى فهم ما يدرسون. أمّا سواد الناس فيحملقون في كتاب الطبيعة بأبصارهم وهم بقلوبهم